قراءة حمزة بن حبيب الزيات

(دراسة نقدية لما قيل فيها)

الدكتور عز الدين كشنيط الجزائري

جامعة الجزائر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـدمـة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبـدالله ورسـوله ورحمتـه المهداة إلى الناس أجمعين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد...

فهذا بحث أحببت أن أخالط به أهل القرآن، بمعرفة أحوالهم وأحـوال قـراءتهم، والـذبّ عنهم؛ فهم أهل الله وخاصته، أصحاب الدرجات العالية يوم القيامة، ولم أرَ أحداً وقعـوا فـي قراءته كالذي وقع فيه بعض السلف من الكراهة لقراءة حمزة والطعن فيها حتى اجترئ عليـه بنسبة كل ما لا يصح إلى قراءته والتّندّر بذلك[1]، وهذا مع ما أجمعوا عليه من إمامة صاحبها في فنّه، وفضله، وشدّة ورعه وتقواه وزهده.

وقد رأيت أن ألج هذا الباب من خلال مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة:

فخصّصت المبحث الأول منها للتعريف بحمزة وشيوخه وتلاميذه ورواة قراءته.

وخصّصت المبحث الثاني منها للوقوف على ما قيل في قراءة حمزة، مقالة مدح أو قـدح، مع بيان ما ذكروا من أسباب ذلك القدح.

وخصّصت المبحث الثالث لمناقشة تفصيلية لما أوردوا على هذه القراءة من شبهات، بمـا يتفق وحجم هذا البحث، ثمّ دوّنت النتائج في خاتمة هذا البحث.

وقد كان منهجي في هذا البحث الوصول إلى إبطال ما قيل في هذه القراءة من الإنكار من أقرب الطرق، فأكتفي بما يردُّ الشبهة دون استقصاء لكل تلك الأقوال، ولا ذكرٍ لجميع الأمثلة. مرجئا ذلك إلى سعة من الوقت وراحة في البال.

---

(1) روى ابن عبد البر بسنده إلى محمد بن عبدالله الحضرمي عن عثمان بن ابي شيبة أنّه قرأ: (فضرب بينهم بسنورٍ له نابٌ) فقال له بعض أصحابه إنما هو (بسور له باب)، فقال: أنا لا اقرأ قراءة حمزة؛ قراءة حمزة عندنا بدعـة." الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: ٢٩٩/١.

المبحث الأول: ترجمة حمزة.

هو حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الإمام أبو عمارة الكوفي مولى آل عكرمة بن ربعي التيمي الزيات، أصله فارسي[٢] أحد القراء السبعة، **ولد سنة ثمانين؛** هو وأبو حنيفة (رحمهما الله) في عام واحد[٣] وأدرك الصحابة بالسن فلعله رأى بعضهم.[٤]

وكان يجلب الزيت من الكوفة إلى حلوان ويجلب من حلوان الجبن والجوز إلى الكوفة.[٥]

قال ابن حبان:" **مات سنة ست وخمسين ومئة** بحلوان."[٦] وقال الذهبي:" توفي **سنة ثمان وخمسين ومئة** وله ثمان وسبعون سنة فيما بلغنا، **والصحيح** وفاته في سنة **ست وخمسين ومئة** (رحمه الله) وكان من الأئمة العاملين."[٧] وهو شيخ القراء وأحد الأئمة السبعة.[٨]

المطلب الأول: شيوخه.

أخذ حمزة على مشايخ كثيرين منهم من أخذ عنه القراءة ومنهم من أخذ عنه الحديث، ومنهم من أخذ عنه القراءة والحديث وغير ذلك من علوم الإسلام؛ وقد ذكر الذهبي أشهرهم فقال:" وقرأ القرآن عرضا على الأعمش وحمران بن أعين ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ومنصور وأبي إسحاق وغيرهم وقرأ أيضا على طلحة بن مصرف وجعفر الصادق."[٩]

---

(٢) انظر الذهبي، سير أعلام النبلاء: مؤسسة الرسالة/ بيروت، ط١٤١٣/٩، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي: ٩٠/٧.

(٣) انظر الذهبي، ميزان الاعتدال: دار الكتب العلمية/ بيروت، ط١٩٩٥/١، تحقيق: علي محمد معوّض، وعادل أحمد عبد الموجود: ٣٧٧/٢.

(٤) انظر الذهبي، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار: مؤسسة الرسالة/ بيروت، ط١٤٠٤/١، تحقيق بشار عواد وشعيب الأرناؤوط وصالح مهدي عباس: ١١١/١-١١٢، وسير أعلام النبلاء: ٩٠/٧، وابن حجر العسقلاني أحمد بن علي، تهذيب التهذيب: دار الفكر/ بيروت، ط١٤٠٤/١: ٢٤/٣.

(٥) انظر الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٩٠/٧، وابن حبان أبو حاتم البستي، الثقات: دار الفكر، ط١٩٧٥/١، تحقيق السيد شرف الدين أحمد: ٢٢٨/٦.

(٦) الثقات: ٢٢٨/٦.

(٧) انظر سير أعلام النبلاء: ٩٢/٧.

(٨) انظر ميزان الاعتدال في نقد الرجال: ٣٧٧/٢.

(٩) معرفة القراء الكبار: ١١٢/١، وانظر سير أعلام النبلاء: ٩٠/٧.

المطلب الثاني: تلاميذه.

وتصدر للإقراء مدة وقرأ عليه عدد كثير؛ فيهم مشـــايخ القــراءة والعربيـــة والحــديث؛ كالكسائي وسفيان الثوري، وغيرهم.

قرأ عليه الكسائي وسليم بن عيسى وهما أجل أصحابه وعبد الرحمن بن أبي حماد وعابــد ابن أبي عابد والحسن بن عطية وإسحاق الأزرق وعبيد الله بن موسى وحجــاج بــن محمــد وإبراهيم بن طعمة ويحيى بن علي الجزار وسعيد بن أبي الجهم ويحيى بــن اليمــان وخلــق **وحدث عنه** الثوري وشريك ومندل وأبو الأحوص وشعيب بن حرب وجرير بن عبد الحميــد ويحيى بن آدم وقبيصة بن عقبة وبكر بن بكار ومحمد بن فضيل وعبدالله بن صــالح العجلــي وأمم سواهم.[١٠]

قال الذهبي:" وكان إماما حجة قيما بكتاب الله تعالى حافظا للحــديث بصــيرا بــالفرائض والعربية عابدا خاشعا قانتا لله ثخين الورع عديم النظير."[١١]

المطلب الثالث: رواة قراءته.

١ - خلف: هو خلف بن هشام بن ثعلب بن خلف الأسدي البغدادي البزار، وهو أحد الرواة عن سليم عن حمزة. واختار لنفسه قراءة فكان أحد القراء العشرة. ولد سنة خمسين ومائــة . أخذ القراءة عن سليم بن عيسى وعبد الرحمن بن حماد عن حمزة، وعن أبي زيد ســعيد بــن أوس الأنصاري عن المفضل الضبي. توفي سنة تسع وعشرين ومئتين ببغداد.[١٢]

٢ - خلاد: هو خلاد بن خالد الشيباني الصيرفي الكوفي وكنيته أبو عيسى، ولد سنة تســع عشرة –وقيل سنة ثلاثين- ومائة. أخذ القراءة عرضا عن سليم وهو مــن أضــبط أصــحابه وأجلّهم. توفي سنة عشرين ومائتين.[١٣]

وننتقل الآن إلى صلب الموضوع؛ وهو ما يتعلّق بقراءة حمزة وما قيل فيها.

المبحث الثاني: عرض ما قيل في قراءة حمزة.

المطلب الأول- عرض ما قيل من القدح في قراءة حمزة:

قال الذهبي:" فقد كان من بعض السلف في الصدر الأول فيها مقال."[١٤]

---

(١٠) انظر معرفة القراء الكبار: ١١٢/١، وابن أبي حاتم الرازي، الجرح والتعديل: دار إحياء التراث العربي/ بيروت، ط١/ ١٩٥٢: ٢٠٩/٣، وابن حبان في الثقات: ٢٢٨/٦، وسير أعلام النبلاء: ٩٠/٧.

(١١) معرفة القراء الكبار: ١١٢/١.

(١٢) انظر تاريخ القراء العشرة: ص٤٦-٤٧.

(١٣) انظر المصدر نفسه: ص٤٦-٤٧.

وقال الساجي:" وقد **ذمه جماعة من أهل الحديث في القراءة**، وأبطل بعضهم الصلاة باختياره من القراءة."[١٥]

وقال الساجي أيضا والأزدي:" يتكلمون في قراءته وينسبونه إلى حالة مذمومة فيه."[١٦]

وأشهر من نقل عنه الكلام في هذه القراءة الإمام أحمد بن حنبل ويزيد بن هارون وعبدالرحمن ابن مهدي وأبو بكر شعبة بن عياش صاحب عاصم وعبد الله بن إدريس الأودي وحماد بن زيد وابن دريد.

فأما الإمام **أحمد بن حنبل** فقد ذكر ابن قدامة في المغني النقل عنه أنه كان يختار قراءة نافع من طريق إسماعيل بن جعفر، قال فإن لم يكن فقراءة عاصم من طريق أبي بكر بن عياش، وأثنى على قراءة أبي عمرو بن العلاء[١٧] قال:" ولم يكره قراءة أحد من العشرة إلا قراءة حمزة والكسائي لما فيها من الكسر الإدغام والتكلف وزيادة المد."[١٨]

قال ابن قدامة:" ونقل عنه التسهيل في ذلك وإن قراءتهما جائزة قال الأثرم قلت لأبي عبد الله إمام كان يصلي بقراءة حمزة أصلي خلفه قال لا يبلغ به هذا كله ولكنها لا تعجبني قراءة حمزة."[١٩] وقال الذهبي:" وكان أحمد بن حنبل يكره قراءة حمزة"[٢٠] وقال الساجي:" سمعت سلمة بن شبيب يقول كان أحمد يكره أن يصلي خلف من يقرأ بقراءة حمزة."[٢١]

ففي طبقات الحنابلة أن أحدهم قال للإمام أحمد:" إني صليت اليوم خلف من يقرأ قراءة حمزة فأعدت الصلاة قال فقال لي ما عليك مأثم."[٢٢] وفي شذرات الذهب أنه سئل عن قراءة حمزة فقال لا تعجبني، وسئل عن الإدغام فكرهه[٢٣]، وقال حرب:" سمعت الإمام أحمد يكره الإمالة مثل والضحى والشمس وضحاها يقول الناس يحتاجون إلى العلم مثل الخبز والماء لأن العلم يحتاج إليه في كل ساعة والخبز والماء في كل يوم مرة أو مرتين انتهى ملخصا."[٢٤]

---

(١٤) ميزان الإعتدال في نقد الرجال: ٢/ ٣٧٨.

(١٥) تهذيب التهذيب: ٣/ ٢٤.

(١٦) المصدر نفسه: ٣/ ٢٤.

(١٧) انظر ابن قدامة عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، المغني: دار الفكر/ بيروت، ط١/ ١٤٠٥: ٢٩٢/١.

(١٨) المغني: ٢٩٢/١.

(١٩) المغني: ٢٩٢/١.

(٢٠) ميزان الإعتدال في نقد الرجال: ٣٧٨/٢.

(٢١) تهذيب التهذيب: ٢٤/٣.

(٢٢) طبقات الحنابلة: ٢٠٨/١.

(٢٣) انظر عبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب: دار الكتب العلمية/ بيروت: ١٧٦/١.

(٢٤) شذرات الذهب: ١٧٦/١.

وأما ما كرهه منها فقد قال عبد الله بن أحمد بن حنبل:" قال أبي أكره من قــراءة حمــزة الهمز الشديد والإضجاع."[٢٥]

وذكروا عن طيب بن اسماعيل أبو حمدون المقرىء أنّه سأل الإمام أحمد عن أشياء منهــا ما يكره من قراءة حمزة فقال: الكسر والإدغام، فقرأ عليه شيئا من ذلك فقال له:" إن كان هكذا فلا بأس."[٢٦]

وأما عبد الرحمن بن مهدي فقد نقل عنه أنه كان يقول:" لو كان لي سلطان على من يقــرأ قراءة حمزة لأوجعت ظهره."[٢٧]

وأما يزيد بن هارون فقد قال الذهبي عنه:" وكان يزيد بن هارون ينهى عن قراءة حمــزة رواه سليمان بن أبي شيخ وغيره عنه."[٢٨] وحكي عن أحمد بن سنان القطان قال:" كان يزيــد بن هارون يكره قراءة حمزة كراهية شديدة."[٢٩] وقال ابن أبي خيثمة عن ســليمان بــن أبــي شيخ:" كان يزيد بن هارون أرسل إلى أبي الشعثاء لا تقرىء في مسجد قراءة حمزة"[٣٠]

وأما أبو بكر بن عياش، فقد حكى عنه زكريا الساجي أنه قال:" قراءة حمزة بدعة؛ يريــد ما فيها من المد المفرط والسكت وتغيير الهمز في الوقف والإمالة وغير ذلك."[٣١]

فعن أبي يوسف الأعشى[٣٢] قال:" قال لي أبو بكر –شعبة- يا أبا يوسف أنا أصلي خلــف فلان وهو يقرأ قراءة حمزة فقد شككني في بعض الحروف التي أقرأها فاعرض علي عرضــة تكون لك أتحفظها عنك قال فجلس له في أصحاب الشعير فقرأ واجتمع الناس حولــه يكتبــون الحروف."[٣٣]

---

(٢٥) معرفة القراء الكبار: ١١٦/١.

(٢٦) طبقات الحنابلة: ١٧٩/١.

(٢٧) ميزان الإعتدال في نقد الرجال: ٣٧٨/٢.

(٢٨) المصدر نفسه: ٣٧٨/٢.

(٢٩) تهذيب التهذيب: ٢٤/٣.

(٣٠) ميزان الإعتدال في نقد الرجال: ٣٧٨/٢.

(٣١) تهذيب التهذيب: ٣/ ٢٤.

(٣٢) أبو يوسف الأعشى؛ قال الذهبي:"هو يعقوب بن محمد بن خليفة الكوفي، قرأ على أبي بكر بن عياش وكان أجــل من قرأ على أبي بكر، تصدر للإقراء بالكوفة فقرأ عليه أبو جعفر محمد بن غالب الصيرفي وأبو جعفر محمد بن حبيب الشموني وأخذ عنه الحروف أحمد بن جبير وخلف بن هشام وعمرو بن الصباح ومحمد بن خلف التيمــي ومحمد بن إبراهيم الخواص، قال أبو بكر النقاش: كان أبو يوسف الأعشى صاحب قرآن وفرائض ولست أقــدم عليه أحــدا فــي القراءة على أبــي بكر كما لا أقدم أحدا على يحيى بن آدم عن أبي بكر." معرفة القراء الكبار: ١٥٩/١.

(٣٣) معرفة القراء الكبار: ١٥٩/١.

وقال الفسوي:" حدثنا الحميدي عن الحويطبي وآخر أحدهما عن حماد بن زيد والآخر عن أبي بكر بن عياش قال أحدهما:" قراءة حمزة بدعة، وقال الآخر: لو صلى بي رجل فقرأ بقراءة حمزة لأعدت صلاتي."[٣٤]

وكذا جاء عن عبد الله بن إدريس الأودي وغيره التبرم من قراءة حمزة.[٣٥] وذكروا أنّه قد ساءه منها ما سمعه فيها من الإفراط في المد والهمز وغير ذلك من التكلف المكروه فكره ذلك وطعن فيه.[٣٦]

ونقل عن ابن دريد أنه قال:" أني لأشتهي أن يخرج من الكوفة قراءة حمزة."[٣٧]

قال ابن حجر:" قرأت بخط الذهبي: يريد ما فيها من المد المفرط والسكت وتغيير الهمز في الوقف والإمالة وغير ذلك."[٣٨]

ونخلص من مجموع هذه الأقوال أن ما صرّحوا به من أسباب الكلام في قراءة حمزة يرجع إما إلى ما فيها من **المد المفرط** و**السكت** و**تغيير الهمز في الوقف** و**الإمالة** و**غير ذلك**، كما ذكر الذهبي عن شعبة وغيره، وعن الإمام أحمد أنه كره منها **الكسر** و**الإدغام**[٣٩] -يقصد بالكسر الإضجاع في الإمالة- وعن ابنه عبد الله عنه أنّه كره منها **الهمز الشديد والإضجاع**.[٤٠] أو هو **الإفراط في المد** و**الهمز** و**غير ذلك من التكلف المكروه**؛ على قول ابن إدريس[٤١]

هذا من جهة الأصول وأما من جهة فرش الحروف، فقد اشتهر قدح بعض النحويين في بعض حروفه؛ كقراءته لكلمة الأرحام في قوله تعالى **(واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام)** بالخفض، وغير ذلك، وقد وقع مثل ذلك لغيره من القراء وسيأتي بيانه.

المطلب الثاني- عرض ما قيل في مدح قراءة حمزة:

وسأكتفي في هذا المقام بشهادة ثلاثة أئمة من أعلام الإسلام، أوّلهم قرينه الإمام أبو حنيفة النعمان الذي قال فيه:" غلب حمزة الناس على القرآن والفرائض"[٤٢]، وأما الثاني فهو سفيان الثوري الذي قال فيه:" ما قرأ حمزة حرفا إلا بأثر."[٤٣]

---

(٣٤) ميزان الإعتدال في نقد الرجال: ٢/ ٣٧٨.

(٣٥) ميزان الإعتدال في نقد الرجال: ٣٧٨/٢.

(٣٦) انظر ابن مجاهد، السبعة في القراءات: ٧٧/١.

(٣٧) تهذيب التهذيب: ٢٤/٣.

(٣٨) المصدر نفسه: ٢٤/٣.

(٣٩) انظر طبقات الحنابلة: ١٧٩/١.

(٤٠) انظر معرفة القراء الكبار: ١١٦/١.

(٤١) انظر كتاب السبعة في القراءات: ٧٧/١.

(٤٢) ميزان الاعتدال في نقد الرجال: ٣٧٧/٢

ثم إنه يمكننا أن نعدّ انتخاب ابن مجاهد لحمزة ضمن سبعة نفر رآهم أئمة القراءة في عصرهم من أعظم الشهادات لحمزة وقراءته، لأنه سلك في اختياره للسبعة معايير دقيقة سيأتي ذكرها قريبا إن شاء الله.

قال الذهبي:" وكان شعيب بن حرب يقول لأصحاب الحديث ألا تسألوني عن الدر قــراءة حمزة."[٤٤]

وقال أبو عمر الدوري:" حدثنا أبو المنذر يحيى بن عقيل قال كان الأعمش إذا رأى حمزة قد أقبل قال هذا حبر القرآن."[٤٥]

وعن مندل قال:" إذا ذكر القراء فحسبك بحمزة في القراءة والفرائض."[٤٦]

قال الذهبي:" انعقد الإجماع بأخرة على تلقي قراءة حمزة بالقبول والإنكار على من تكلــم فيها."[٤٧]

المبحث الثالث: مناقشة ما قيل في قراءة حمزة.

وقد رأيت أن أتطرق إلى مناقشة ما سلف ذكره بملاحظات عامة أولا ثم بالتنقيــب عمّــا ذكروه من أسباب عدم الرضا عن قراءة هذا الحبر الجليل.

المطلب الأول- ملاحظات عامّة:

الملاحظة الأولى: إن أول ما يُلاحظ فيما سلف ذكره هو ما نُقل من الإجمــاع علــى ورع هذا الإمام وصدقه وزهده مع علمه مما لم يقولوه في أحد من باقي السبعة ولا في أحــد مــن الثلاثة الآخرين؛ لم يخالف في ذلك مادح لقراءته أو قادح، وإليك قليلا من الكثير الذي قيل في ذلك:

قال يحيى بن معين:" سمعت محمد بن فضيل يقول: ما أحسب أن الله يدفع البلاء عن أهل الكوفة إلا بحمزة."[٤٨]

قال فيه الشاطبي:

([٤٣]) سير أعلام النبلاء: ٩٠/٧.

([٤٤]) المصدر نفسه: ٩١/٧.

([٤٥]) ابن الجوزي عبد الرحمن بن علي، صفوة الصفوة: دار المعرفة/ بيروت، ط٢/ ١٩٧٩: ١٥٦/٣، وانظر معرفــة القراء الكبار: ١١٣/١.

([٤٦]) المصدر السابق: ١١٣/١.

([٤٧]) ميزان الإعتدال في نقد الرجال: ٣٧٨/٢.

([٤٨]) معرفة القراء الكبار: ١١٦/١، وانظر سير أعلام النبلاء: ٩١/٧.

وَحَمْزَةُ مَا أَزْكَاهُ مِنْ مُتَوَرِّعٍ إِمَاماً صَبُوراً لِلقُرانِ مُرَتِّلاَ[٤٩]

وقال فيه الذهبي"وإليه المنتهى في الصدق والورع والتقوى."[٥٠]

وقد اشتهر عنه تورّعه عن الأخذ ممن يقرئهم شيئا مهما قلّ؛ قال حسين الجعفي وغيره:"ربما عطش حمزة فلا يستسقي كراهية أن يصادف من قرأ عليه."[٥١]

وأما علمه بالقراءات؛ فقد قال فيه عبد الله بن موسى:" ما رأيت أحدا أقرأ من حمزة."[٥٢]

وقد شهد له أبو حنيفة وسفيان الثوري بالغلبة في ذلك؛ فقالا:" غلب حمزة الناس على القرآن والفرائض."[٥٣] ويكفي تحول الكوفة في زمانه من قراءة عاصم إلى قراءته، إلا قليل منهم.[٥٤] قال ابن مجاهد:" وصار الغالب على أهل الكوفة إلى اليوم قراءة حمزة بن حبيب الزيات."[٥٥]

وذكره ابن حبان في الثقاة فقال:" وكان من علماء أهل زمانه بالقراءات، وكان من خيار عباد الله عبادة وفضلا وورعا ونسكا."[٥٦] وقال فيه أيضا:" وكان من قراء القرآن والمتورعين في السر والإعلان."[٥٧]

قال فيه الذهبي:" وكان إماما قيما لكتاب الله قانتا لله ثخين الورع رفيع الذكر عالما بالحديث والفرائض."[٥٨]

وسئل عنه تلميذه الكسائي فقال بأنه إمام لو رأيته لقرت عينك من نسكه.[٥٩]

وذكروا أن شيخه الأعمش رآه مقبلا فتلا قوله تعالى:﴿**وبشر المخبتين**﴾(الحج ٣٤).[٦٠]

---

(٤٩) الشاطبي القاسم بن فيرة بن خلف الرعيني الأندلسي(ت٥٩٠هـ)، حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع: ضبط وتصحيح ومراجعة: محمد تميم الزعبي، مكتبة دار الهدى/ المدينة المنورة، ط١٤١٨/٣-١٩٩٦: ص٣.

(٥٠) ميزان الإعتدال في نقد الرجال: ٣٧٧/٢.

(٥١) سير أعلام النبلاء: ٩١/٧.

(٥٢) الذهبي، معرفة القراء الكبار: ١١٤/١.

(٥٣) ميزان الإعتدال في نقد الرجال: ٣٧٧/٢، وانظر معرفة القراء الكبار: ١١٤/١.

(٥٤) وليس ذلك لعيب في قراءة عاصم رحمه الله، وإنما أرجع ذلك ابن مجاهد لتألق نجم حمزة وقراءته وتفرغه للإقراء، مقابل تعزز شعبة بن عياش عن الإقراء بقراءة عاصم، وكان الناس لا يرضون أخذها من غيره، لأنه تعلمها منه تعلما خمسا خمسا، فلذلك قلت. انظر ابن مجاهد، السبعة في القراءات: ٧١/١.

(٥٥) المصدر نفسه: ٧١/١.

(٥٦) ابن حبان في الثقات: ٢٢٨/٦.

(٥٧) ابن حبان أبو حاتم البستي، مشاهير علماء الأمصار: دار المعرفة العلمية/بيروت، ط:١٩٩٥، تحقيق: م.فلايشهمر: ١٦٨/١.

(٥٨) سير أعلام النبلاء: ٩٠/٧

(٥٩) انظر المصدر نفسه: ٩٠/٧-٩١.

وبعد هذا كله ... أيصحّ اتهام هذا العلم بالتقصير أو عدم التحري والضبط في ما ينقله من حروف القرآن.

إن ما أجمعوا عليه من إمامته في القراءة وتفرده في الورع والصدق والتألــه لا يــدع أي مجال للشك في أمانته في نقل حروف القرآن نقلا متقنا مضبوطا، وهو ما صــرّح بــه هــو وغيره.

الملاحظة الثانية: هي أن من تكلّم في قراءته أو أبطل الصلاة وراء من يقرأ باختياره إنما هم جماعة من أهل الحديث كما قال الساجي.[٦١]

وحكم أهل فن على إمام في فن آخر لا يؤخذ على إطلاقه – هذا إن جاز اعتباره أصلا-، خصوصا إن كان المحكوم عليه إماما في فنّه كحمزة بشهادة الأكابر.

وما يهوّن الأمر علينا هنا، هو عدم إجماع أهل الحديث على القدح في هذه القــراءة، بــل شهادة بعض أئمتهم على مدحها كسفيان الثوري، وهو قرين الإمام مالك في الفقــه والحــديث رحمة الله عليهم أجمعين.

على أنك تعجب من سماعك القدح في قراءة حمزة مع توثيقه في الحديث؛ فقد وثّقه الإمام أحمد ويحيى بن معين والدارمي والعجلي[٦٢]، وقال النسائي وغيره: ليس به بأس، وقــال فيــه الساجي: صدوق سيىء الحفظ. وذكر الذهبي بأن حديثه لا ينحط عن رتبة الحســن.[٦٣] قــال الذهبي:" ظهر له نحو من ثمانين حديثا."[٦٤] وحديثه مخرج في صحيح مســلم وفــي الســنن الأربعة.[٦٥]

الملاحظة الثالثة: هي أن أكثر من تكلم في قراءة حمزة ممن لم يعاصره، ولم يسمع منــه، وإنّما سمع قراءته بالوساطة..

الملاحظة الرابعة: هي أن من شهد لحمزة وقراءته إما شيخ من مشايخه أو قرين أو تلميذ أو من أرباب هذا الفن.

---

(٦٠) انظر المصدر نفسه: ٩٢/٧.

(٦١) نقل ابن حجر عن الساجي قوله:" وقد ذمه جماعة من أهل الحديث في القراءة وأبطل بعضهم الصلاة باختياره من القراءة." تهذيب التهذيب: ٢٤/٣.

(٦٢) انظر الجرح والتعديل: ٢٠٩/٣، قال فيه العجلي:" كوفي تيمي ثقة رجل صالح صاحب سنة." العجلي؛ أحمد بــن عبد الله بن صالح أبو الحسن الكوفي(١٨٢-٢٦١)، معرفة الثقات: ٣٢٢/١، مكتبــة الــدار/المدينــة المنــورة، ط١/١٤٠٥-١٩٨٥، تحقيق: عبد العليم عبد العظيم البستوي، وهو ممن روى له مسلم؛ انظر ابن منجويه أحمد بن علي الأصبهاني، رجال مسلم: دار المعرفة/ بيروت، ط١/ ١٤٠٧، تحقيق عبد الله الليثي: ١٤٧/١.

(٦٣) انظر سير أعلام النبلاء: ٩٢/٧.

(٦٤) انظر المصدر نفسه: ٩٢/٧.

(٦٥) انظر الذهبي في معرفة القراء الكبار: ١١٧/١.

فمن مشائخه الأعمش الذي وصفه بأنه حبر القرآن، وابن أبي ليلى الذي ذكروا أنّ حمزة قرأ عليه يوما فأخطأ، فلم يأخذ عليه، فقال حمزة مالك: لم تأخذ علي؟ قال: خفت الله أن تكون أنت المصيب وأنا المخطيء.[٦٦]

ومن قرنائه الإمام أبو حنيفة النعمان وقد شهد له بالغلبة على أهل زمانه في هذا الفن، وعلم الفرائض.

ومن تلاميذه الإمام سفيان الثوري؛ حكى ابن مجاهد عن قبيصة قال:" كنا عند سفيان الثوري فجاء حمزة فكلمه فلما قام من عنده أقبل علينا سفيان فقال هذا ما قرأ حرفا من كتاب الله عز وجل إلا بأثر."[٦٧]... وهذه شهادة صادرة عن خبرة ومخالطة، لأنه أخذ عنه القراءة في أربع درسات[٦٨]، لذلك قال الذهبي وغيره:"يكفي حمزة شهادة مثل الإمام سفيان الثوري له."[٦٩]

ومنهم الكسائي أيضا فقد سئل عن الهمز والإدغام ألكم فيه إمام فقال:" نعم حمزة، كان يهمز ويكسر، وهو إمام، لو رأيته لقرّت عينك من نسكه."[٧٠]

وأما أئمة هذا الفن فأبرزهم ابن مجاهد الذي نظر في قراء الأمصار الخمسة، فما رأى خيرا من هؤلاء السبعة الذين ذكرهم وفيهم حمزة.

الملاحظة الخامسة: هي أن كثيرا مما وقع من الإنكار على قراءة حمزة يرجع إلى ما أحدثه بعض من روى قراءته بعده، مما كان ينكره حمزة نفسه، وإليك بيان ذلك:

فمن ذلك ما رواه ابن مجاهد في سبب إنكار ابن إدريس لقراءة حمزة وطعنه فيها، حيث قال:"حدثني علي بن الحسن قال: قال محمد بن الهيثم واحتج من عاب قراءة حمزة بعبد الله بن إدريس أنه طعن فيها وإنما كان سبب هذا أن رجلا ممن قرأ على سليم حضر مجلس ابن إدريس عبد الله فقرأ فسمع ابن إدريس ألفاظا فيها إفراط في المد والهمز وغير ذلك من التكلف المكروه فكره ذلك ابن إدريس وطعن فيه، قال محمد –بن الهيثم-: وهذا الطريق عندنا مكروه مذموم، وقد كان حمزة يكره هذا، وينهى عنه، وكذلك من أتقن القراءة من أصحابه."[٧١]

([٦٦]) انظر المصدر نفسه: ١١٤/١.

([٦٧]) المصدر نفسه: ١١٤/١، وانظر سير أعلام النبلاء: ٩٠/٧.

([٦٨]) قال شعيب بن حرب:" درس سفيان الثوري على حمزة القرآن أربع درسات." معرفة القراء الكبار: ١١٣/١.

([٦٩]) انظر تهذيب التهذيب: ٢٤/٣.

([٧٠]) سير أعلام النبلاء: ٩١/٧-٩٢.

([٧١]) ابن مجاهد، السبعة في القراءات: ٧٧/١-٧٨.

ومن ذلك ما روي عن الإمام أحمد في طبقات الحنابلة، أن طيب بن اسماعيل أبا حمدون المقرىء سأله عن أشياء -منها ما يكرهه من قراءة حمزة- فقال: الكسر والإدغام، فقرأ عليه شيئا من ذلك فقال له:" إن كان هكذا فلا بأس."[٧٢]

هذا وقد رُوي عن حمزة نفسه أنّه كان يقول لمن يبالغ في المد وتحقيق الهمز لا تفعل، إن لهذا التحقيق منتهى ينتهي إليه ثم يكون قبيحا مثل البياض له منتهى ينتهي إليه وإذا زاد صار برصا ومثل الجعودة لها منتهى تنتهي إليه فإذا زادت صارت قططا. ويروى عنه أنه قال إنما الهمز رياضة فإذا أحسنها الرجل سهلها.[٧٣]

المطلب الثاني- النظر فيما أُنكر على حمزة ومناقشته:

فالذي صرح به القادحون في قراءة حمزة راجع إلى ما فيها من المد المفرط أو السكت وتغيير الهمز في الوقف والإمالة -الكسر، الإضجاع- والإدغام، ولنلق نظرة على كلٍّ منها على حدى، لنرى إن كان حمزة انفرد بشيء من ذلك، وسأقتصر على ما ورد من طريق الشاطبية، لأنّه إن حرّرنا له رواية أو روايتان خاليتان من العيوب المذكورة فقد سلم الأمر لحمزة وحمل العيب على من قرأ بقراءته من غير المتقنين، في زمانه أو من بعده.

أولا- المد المفرط :

المد في اللغة هو الزيادة، وأما اصطلاحا فهو إطالة الصوت بحرف من حروف المد واللين أو حروف اللين فقط.

وقد اتفق حمزة مع ورش في إشباع المد المتصل والمنفصل بقدر ثلاثة ألفات(ست حركات)[٧٤]، وليس لحمزة من طريق الشاطبية مدًا أطول من ذلك.

كما اتفق مع باقي القراء في مد اللازم الحرفي والكلمي المثقل والمخفف ست حركات، والتخيير في العارض للسكون بين الإشباع والتوسط والقصر.

فليس لحمزة –من طريق الشاطبية- مدٌّ أطول مما قرأ به غيره، وسلف منا ذكر نهيه الإفراط في المد.

([٧٢]) طبقات الحنابلة: ١٧٩/١.

([٧٣]) انظر ابن مجاهد، السبعة في القراءات: ٧٦/١، والذهبي، معرفة القراء الكبار: ١١٥/١، وانظر عبد الفتاح القاضي، تاريخ القراء العشرة ورواتهم وتواتر قراءاتهم ومنهج كل في القراءة: المكتبة الأزهرية للتراث/مصر، ط١/١٤٢٣-٢٠٠٢: ص٤٦.

([٧٤]) انظر عبد الفتاح القاضي، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة: مكتبة أنس بن مالك/مكة المكرمة، ط١/١٤٢٣-٢٠٠٢: ص٢١.

ثانيا - السكت:

السكت والسكوت لغة الصمت خلاف النطق،[٧٥] وأما اصطلاحا فهو على قسمين؛ سكت للهمز وسكت لغيره، وقد عرّفوا الأول بأنّه قطع الصوت على الساكن زمنا هو دون زمن الوقف عادة من غير تنفس. وعرّفه بعضهم بأنّه قطع الصوت على الساكن آناً. والآنُ قيد قائم مقام عدم التّنفس المذكور في عبارة غيره، ويقع في وسط الكلمة وفيما اتّصل رسما[٧٦] وهذا النوع هو الذي اختص به حمزة دون سائر القراء؛ قال الشاطبي:"

وَعَنْ حَمْزَةَ في الْوَقْفِ خُلْفٌ وَعِنْدَهُ	**رَوَى خَلَفٌ في الْوَقْفِ سَكْتًا مُقَلَّلاَ**
وَيَسْكُتُ في شَيْءٍ وَشَيْئًا وَبَعْضُهُمْ	**لَدَى اللَّامِ لِلتَّعْرِيفِ عَنْ حَمْزَةٍ تَلاَ**
وَشَيْءٍ وَشَيْئًا لَمْ يَزِدْ	**..... "[٧٧]**

وأما النوع الثاني فعرّفوه بأنّه قطع الصوت آخر الكلمة زمنا هو دون زمن الوقف عادة من غير تنفس.[٧٨]

وهو أصل عمل به القراء في الفصل بين السورتين، وحكى الداني عن ابن مجاهد جوازه في رؤوس الآي مطلقا، وهو مروي لحفص عن عاصم في أربع مواضع من القرآن، وهي الوقف على (عوجا) من قوله تعالى:(عوجا قيما) من سور الكهف، وعلى (مرقدنا) قوله تعالى: (من بعثنا من مرقدنا هذا) من سورة يس، وعلى (من) من قوله تعالى: (وقيل من راق) من سورة القيامة، وعلى (بل) في قوله تعالى: (كلا بل ران على قلوبهم) من سورة المطففين. وقد تعمّدت ذكر هذه المواضع لأنها مروية لعاصم، من طريق صحيح، والسكت من جملة ما أنكره شعبة من قراءة حمزة.

فأكثر من يعمل بالسكت إذن حمزة ثم يليه عاصم من رواية حفص ثم يليهم باقي القراء في السكت بين السورتين، فالسكت إذن أصل معمول به عند جميع القراء إذن.

---

(٧٥) انظر ابن منظور محمد بن منظور الإفريقي، لسان العرب: دار صادر/ بيروت، ط١: ٤٣/٢.

(٧٦) انظر علي محمد الضباع، الإضاءة في بيان أصول القراءة: المكتبة الأزهرية للتراث/ مصر، ط١/١٤٢٠-١٩٩٩: ص٣٣.

(٧٧) الشاطبي، حرز الأماني: ص١٩.

(٧٨) انظر الضباع، الإضاءة: ص٣٣.

وأما ما انفرد به حمزة من السكت على الساكن قبل الهمزة، فمردّ ذلك إلى الروايــة أوّلا، ثم إنّ ذلك نوع تصرّف في الهمزة، فقد تراوح تصرف حمزة في ذلك بين النقــل والســكت، واقتصر ورش عن نافع في مثل هذه المواضع على مجرّد النقل؛ قال الشاطبي:"

وَحَرِّكْ لِوَرْشٍ كُلَّ سَاكِنِ آخِرٍ صَحِيحٍ بِشَكْلِ الْهَمْزِ واحْذِفْهُ مُسْهِلاَ "[٧٩]

فلست أرى الوجه في الإنكار على فعل حمزة في تصرفه فيها دون ورش، والأمر عندهما سيان.

ثالثا- تغير الهمز في الوقف:

انفرد حمزة بكثرة تصرفه في الهمزة عند الوقف على كلمته، حتى أفرد الشاطبي لذلك بابا ضبطه في عشرين بيتا.

فأعمل فيها التسهيل والإبدال والحذف والروم والإشمام إذا كانت متطرفة، وشــاركه فــي ذلك كله أبو عامر الشامي من رواية هشام بن عمار، قال الشاطبي:

" وَفِي غَيْرِ هذَا بَيْنَ بَيْنَ وَمِثْلُهُ يَقُولُ هِشَامٌ مَا تَطَرَّفَ مُسْهِلاَ "[٨٠]

وأما الهمزة المتوسطة فتصرف فيها بالتسهيل أو الإبدال أو الحذف؛ نحــو قولــه تعــالى: (مستهزءون)، قرأها بالتسهيل (مستهز.ون)، وبالحذف (مستهزُون)، وبالإبدال (يستهزيُون)[٨١]

- **<u>أما إبدال الهمزة</u>** واوا، أو ياءً في وسط الكلمة، فلم ينفرد فيه حمزة، بل قال بــه ورش عن نافع في كل همزة ساكنة وقعت فاء للكلمة كقوله تعالى(يؤمنون)أبدل همزتها واوا مدّية فقرأها (يومنون)، مع ببعض الاستثناءات، وأبدل كل همزة مفتوحة وقعــت بعــد ضمّ واواً مثل قوله (مؤجلا) قرأها (مُوَجّلا)؛ قال الشاطبي:

" إِذَا <u>سَكَنَتْ</u> فَاءً مِنَ الْفِعْلِ <u>هَمْزَةٌ</u> فَوَرْشٌ يُرِيهَا <u>حَرْفَ مَدٍّ مُبَدَّلاَ</u>
سِوَى جُمْلَةِ الإِيوَاءِ <u>وَالْوَاوُ عَنْهُ إِنْ</u> <u>تَفَتَّحَ إِثْرَ الضَّمِّ</u> نَحْوُ مُؤَجَّلاَ "[٨٢]

([٧٩]) الشاطبي، حرز الأماني: ص١٩.

([٨٠]) المصدر نفسه: ص٢٠، وانظر شرحها لــ د. محمد خالد منصور وآخرون: المزهر في شرح الشاطبية والــدرة: دار عمار/عمان، ط١/١٤٢٢-٢٠٠٢: ص١٢١.

([٨١]) انظر عبد الفتاح القاضي، البدور الزاهرة: ص٢٧.

([٨٢]) المزهر في شرح الشاطبية والدرة: ص١١٠.

وممن تصرف في الهمزة بالإبدال أيضا السوسي عن أبي عمرو، فأبدل كل همزة ساكنة حرف مدٍّ مع بعض الاستثناءات أيضا؛ قال الشاطبي:

وَيُبْدَلُ لِلسُّوسِيِّ كُلُّ مُسَكَّنٍ مِنَ الْهَمْزِ مَدًّا غَيْرَ مَجْزُومِ نُ اْهْمِلاَ

وممن أعْمل فيها الإبدال شعبة نفسه في الهمزة الأولى من قوله تعالى (لؤلؤ)؛ أبدلها واوا مدّية (لولؤ)، وأبدل دوري أبي عمرو كلمة (يألتكم) ألفا مدّية أيضا (يالتكم)؛ قال الشاطبي:

" **وَفي لُؤْلُؤٍ في العُرْفِ وَالنُّكْرِ شُعْبَةٌ وَيَأْلِتْكُمُ الدُّورِي وَالإِبْدَالُ يجْتَلاَ** "[٨٣]

فلا حجة لأحد على ما رواه حمزة من التصرف في الهمزات وسط الكلمة بالإبدال، كيف وقد شاركه في ذلك شعبة عن عاصم وورش عن نافع وأبو عمرو وغيرهم من السبعة أو العشرة كأبي جعفر وغيره.

- **<u>وأما تسهيل الهمزات</u>** فقد ثبت التسهيل عن عاصم من رواية حفص في قوله تعالى(أأعجمي)؛ قرأها بتسهيل الهمزة الثانية (أ.عجمي). وقد ثبت التصرف في الهمزة الثانية بالتسهيل عند القراء الثلاث؛ المرموز لهم في الشاطبية بلفظ (سما) وهم نافع المدني وابن كثير المكي وأبو عمرو البصري قال الشاطبي:

" **وَتَسْهِيلُ أُخْرَى هَمْزَتَيْنِ بِكِلْمَةٍ (سَمَا) وَبِذَاتِ الْفَتْحِ خُلْفٌ لِتَجْمُلاَ** "[٨٤]

- **<u>وأما الحذف أو الإسقاط</u>** فذلك ثابت في قراءة البصري أيضا؛ قال الشاطبي:

"**<u>وَأَسْقَطَ الأُولَى</u> في اتِّفَاقِهِمَا مَعًا إِذَا كَانَتَا مِنْ كِلْمَتَيْنِ فَتَى الْعُلاَ**
<u>كَجَا أَمْرُنَا</u> <u>مِنَ السَّمَا</u> <u>إِنَّ أَوْلِيَا</u> <u>أُولئِكَ</u> أَنْوَاعُ اتِّفَاقٍ تَجَمَّـــلاَ "[٨٥]

على خلاف في أي الهمزتين ساقطة.

([٨٣]) المصدر نفسه: ص١١٤.

([٨٤]) المصدر نفسه: ص٩٥.

([٨٥]) المصدر نفسه: ص١٠٤.

ولم أقصد الاستقراء في هذا الباب وإنما المهم هنا إثبات عدم انفراد حمزة بشيء من أنواع التصرف في الهمزة دون سائر القراء السبعة أو العشرة، فكل ما فعله أصول عمل بها بعض القراء، على تفاوت بينهم في مقدار العمل بأحد أنواع ذلك التغيير.

رابعا- الهمز الشديد:

الهمز لغة الدفع بسرعة أو الضغط[٨٦]، ويوصف اصطلاحا بالتحقيق وقد تصرّف فيع العرب بالتسهيل والإبدال والإسقاط والنقل وذلك لشدّته وثقله.وقد تنوّع تصرف حمزة فيما توسّط أو تطرف منه بين التسهيل والإبدال مع الروم والإشمام، والنقل والحذف.

فهو ممن كثر في قراءته التصرف في الهمزات من القراء السبعة، وقد مرّ بيان شيء من ذلك في المسألة السابقة.

وعليه فلست أدري من أين أُنكر على حمزة شدة همزه، علما بأنّ أكثر من حقّق الهمزة من القراء هم عاصم والكسائي وابن عامر من رواية ابن ذكوان. والذي أميل إليه أن ما أنكر على حمزة في من شدّة الهمز إنّما كان صادرا عن بعض من روى عنه ممن لم يلتزم روايته، وقد ثبت عن حمزة إنكار ذلك عليهم، فكان يقول:" إن لهذا التحقيق منتهى ينتهي إليه ثم يكون قبيحا مثل البياض له منتهى ينتهي إليه وإذا زاد صار برصا ومثل الجعودة لها منتهى تنتهي إليه فإذا زادت صارت قططا. ويروى عنه أنه قال إنما الهمز رياضة فإذا أحسنها الرجل سهلها.[٨٧] فهل يصح أن يُعترض على مذهبه في الهمزات بعد ذلك.

خامسا- الإمالة أو الكسر أو الإضجاع:

الإمالة لغة التعويج أو الإحناء،[٨٨] وأما اصطلاحا فهي "تقريب الفتحة من الكسرة والألف من الياء من غير قلب خالص ولا إشباع مبالغ فيه"[٨٩] وهي إما إمالة كبرى، وتسمى إمالة محضة أو إضجاع، وإما صغرى، وتسمى بالتقليل أو بين بين.

والإمالة أصل عمل به أكثر القراء، قال محمد على الضباع:" منهم من لم يمل شيئا، وهم ابن كثير وأبو جعفر، ومنهم من أمال وهم قسمان:

---

(٨٦) انظر الإضاءة: ص٢٢.

(٨٧) انظر ابن مجاهد، السبعة في القراءات: ٧٦/١، والذهبي، معرفة القراء الكبار: ١١٥/١، وانظر عبد الفتاح القاضي، تاريخ القراء العشرة ورواتهم وتواتر قراءاتهم ومنهج كل في القراءة: المكتبة الأزهرية للتراث/مصر، ط١٤٢٣/١-٢٠٠٢: ص٤٦.

(٨٨) انظر الإضاءة: ص٢٨.

(٨٩) المصدر نفسه: ص٢٨.

مقلٌّ وهم ابن عامر وعاصم ويعقوب، ومكثروهم ورش وأبو عمرو وحمزة والكسائي وخلف، وأصل ورش الصغرى، وأصل حمزة والكسائي وخلف ويعقوب وابن عامر وعاصم الكبرى وقالون وأبو عمرو مترددان بين الأصلين."[٩٠]

فلا وجه لاختصاص حمزة بالذم على الإمالة وقد شاركه في العمل بها من قد علمت، وفيهم أبو بكر شعبة بن عياش عن عاصم.

وإما إن كان النقد موجّها إلى إكثاره من استعمالها، فإن ذلك ليس بمسلّم؛ ودليله أن الكسائي قد شارك شيخه حمزة في أكثر ما أماله، وانفرد عنه بالإمالة في كثير مما لم يمل فيه حمزة، قال الشاطبي:

وَحَمْزَةُ مِنْهُمْ وَالْكِسَائِيُّ بَعْدَهُ أَمَالاَ ذَوَاتِ الْيَاءِ حَيْثُ تأَصَّلاَ

إلى أن قال:

وَلَكِنَّ أَحْيَا عَنْهُمَا بَعْدَ وَاوِهِ وَفِيمَا سَوَاهُ لِلكِسَائِي مُيِّلاَ

قال الشيخ عبد الفتاح القاضي عن حمزة:" يميل الألفات من ذوات الياء والألفات المرسومة ياء في المصاحف نحو (الهدى اشترى النصارى)، ويميل الألفات في (خاب، خافوا طاب ،ضاقت، وحاق، وزاغوا، جاء، شاء، وزاد)، ويقلل الألفات الواقعة بين راءين ثانيتهما متطرفة مكسورة نحو (إن كتاب الأبرار، من الأشرار)"[٩١]

ثم لما تكلّم عن الإمالة عند الكسائي قال:" يميل الكسائي ما يميله حمزة من الألفات ويزيد عليه إمالة بعض الألفاظ كما وضح في كتب القراءات"[٩٢] ثم قال:" يميل ما قبل هاء التأنيث عند الوقف نحو رحمة، الملائكة بشروط."[٩٣] قال الشاطبي:

" **وَفِي هَاءِ تَأْنِيثِ الْوُقُوفِ وَقَبْلَهَا مُمَالُ الْكِسَائِي غَيْرَ عَشْرٍ لِيَعْدِلاَ**"[٩٤]

---

(٩٠) المصدر نفسه: ص٣٠.

(٩١) تاريخ القراء العشرة: ص٤٩-٥٠.

(٩٢) المصدر نفسه: ص٥٤.

(٩٣) المصدر نفسه: ص٥٤.

(٩٤) المزهر في شرح الشاطبية والدرة: ص١٥٣.

فمجموع ما أمال فيه الكسائي أكثر بكثير مما أمال فيه شيخه حمزة، وحينئذ لا يبقى مجالٌ لاتهام حمزة من ناحية الإمالة أو الإكثار منها في قراءته.

على أنّا نقول: إن أمر الإقلال أو الإكثار في العمل بأصل من الأصول في القراءات منوطٌ أوّلا وأخيرا باتّباع الرواية.

سادسا - الإدغام :

الإدغام لغة الإدخال والستر[٩٥]، وأما عرفا فهو التلفظ بساكن فمتحرك بلا فصل من مخرج واحد، أو هو اللفظ بحرفين حرفا كالثاني مشدّدا، أو هو عبارة عن خلط الحرفين وتصييرهما حرفا واحدا مشدّداً[٩٦]، وهو نوعان: كبير وصغير؛

فأما الكبير فقد اختص به أبو عمرو بن العلاء البصري من رواية السوسي؛ قال الشاطبي:

" **وَدُونَكَ الإِدْغَامَ الْكَبِيرَ وَقُطْبُهُ أَبُو عَمْرٍ والْبَصْرِيُّ فِيهِ تَحَفَّلاَ** "[٩٧]

وأما الصغير فهو أصل اتفق القراء في بعض حروفه، واختلفوا في بعضها الآخر؛ فأما حمزة فقد أدغم من رواية خلف ذال إذْ في الدال والتاء، ومن رواية خلاد في جميع حروفها ما عدا الجيم[٩٨]؛ أي في (ت، ز، ص، د، س)، وهي أوائل كلمات بيت الشاطبية:

ت ز ص د س ج

"نعم إذْ تمشّت زينب صال دلّها سمي جمال واصلا من توصلا"[٩٩]

وأدغم تاء التأنيث في جميع حروفها؛ أي في(س، ث، ص، ز، ظ، ج) وهي أوائل كلمات بيت الشاطبية:

س ث ص ز ظ ج

وأبدتْ سنا ثغر صفت زرق ظلمه جمعن ورودا باردا عطر الطّلا

قال الشيخ عبد الفتاح القاضي عن حمزة:"ويدغم لام هل في الثاء (هل ثوب الكفار) في المطففين، ولام بل في السين في (بل سولت لكم)بيوسف، وفي التاء نحو(بل تأتيهم)، ويدغم

---

(٩٥) انظر الإضاءة: ص١١.

(٩٦) انظر المصدر نفسه: ص١١.

(٩٧) حرز الأماني: ص١٠، وانظر المزهر في شرح الشاطبية والدرة: ص٦٠.

(٩٨) انظر تاريخ القراء العشرة: ص٤٩.

(٩٩) حرز الأماني: ص٢١، وانظر المزهر في شرح الشاطبية والدرة: ص١٢٨.

الباء المجزومة في الفاء نحو(وإن تعجب فعجب) وهذا من رواية خلاد، ويدغم الذال في التاء في (عذت، اتخذتم، فنبذتها)، والثاء في التاء في (أورثتموها)، وفي (لبثت) كيف وقع."[١٠٠] ولننظر الآن فيما انفرد به حمزة منها:

فأما ذال إذْ فانفرد خلفٌ عنه بإدغامها في التاء[١٠١].

وأما إدغام تاء التأنيث في حروفها فهو أصل شاركه فيه أبو عمرو والكسائي.[١٠٢]

وأما إدغام لام هل في الثاء ولام بل في السين والتاء فوافقه في ذلك الكسائي.[١٠٣]

وأما إدغام الباء في الفاء المذكورة، وذال (عذت) و(نبذتها) في التاء فوافقه فيها الكسائي وأبو عمرو.[١٠٤] وأما إدغام ذال (أخذت) أو (اتخذتم) في التاء فلم يخالف فيه من السبعة إلا ابن كثير وحفص عن عاصم.[١٠٥]

وأما إدغام الثاء في التاء في (أورثتموها) و(لبثت)، فوافقه في ذلك أبو عمرو البصري والكسائي ووافقهم هشام في الأولى.[١٠٦]

فلم ينفرد حمزة -في كل ما أدغمه إدغاما صغيرا- عن السبعة إلا في ما رواه عنه خلفٌ من إدغام ذال إذْ في التاء[١٠٧]، وقد أيّد ذلك خلفٌ فيما اختاره لنفسه.[١٠٨]

وعلى كل حال فالانفراد في هذا الباب ليس مقتصرا على حمزة وحده، بل انفرد غيره فيه؛ كانفراد أبي عمرو بإدغام الراء المجزومة في اللام في نحو (يغفر لكم)[١٠٩]، وانفراد الليث عن الكسائي بإدغام لام (يفعل) المجزومة في الذال من (ذلك).[١١٠]

ولم يكن الانفراد سببا للنقد والإنكار في هذا الباب.

سابعا- انفراده في بعض فرش الحروف:

على الرغم من عدم إرجاع أحد ممن تكلم في قراءة حمزة -ممن وقفنا على كلامه- إلى ما انفرد به من فرشيات، فإنني أحببت أن أقطع الشك باليقين في قول بعضهم (وغير

---

(١٠٠) تاريخ القراء العشرة: ص٤٩.

(١٠١) انظر المزهر في شرح الشاطبية والدرة: ص١٢٨.

(١٠٢) انظر المصدر نفسه: ص١٣١.

(١٠٣) انظر المصدر نفسه: ص١٣٢.

(١٠٤) انظر المصدر نفسه: ص١٣٤.

(١٠٥) انظر المصدر نفسه: ص١٣٦.

(١٠٦) انظر المصدر نفسه: ص ١٣٥.

(١٠٧) انظر المصدر نفسه: ص١٢٨.

(١٠٨) انظر المصدر نفسه: ص٤٦٩.

(١٠٩) انظر المصدر نفسه: ص١٣٥.

(١١٠) انظر المصدر نفسه: ص١٣٤.

ذلك)[١١١]، والحق أنني لا أقصد هنا استيعاب ما عابوا به هذه القراءة من الألفاظ، وإنّما يكفيني هنا أن أثبت أن مسألة الانفراد في فرش الحروف لم ينفرد به حمزة وحده، وأن النحويون لم يطعنوا في ما انفرد به حمزة فحسب، وإنّما انتقدوا ما لم يرقهم في أي قراءة كان.

فمما انتقدوه على حمزة ما انفرد به عن السبعة من قراءة كلمة (الأرحام) في قوله تعالى **(واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحامِ)** من سورة النساء بالخفض[١١٢]، والحق في ذلك مع حمزة لأن خفض الأرحام هي "قراءة إبراهيم النخعي وقتادة ويحيى بن وثاب وطلحة بن مصرف والأعمش ورواية الأصفهاني والحلبي عن عبد الوارث."[١١٣] وقد أنكر البصريون هذه القراءة ولحّنوا من قرأ بها وردوها بما قعدوه من عدم جواز عطف الظاهر على مضكر المخفوض إلا بإعادة الخافض،[١١٤] والذي عليه نحويُو الكوفة خلافه، ويؤيد ذلك ورود مثاله في القرآن نفسه كما في قوله تعالى: **(ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم)**؛ " فما في موضع خفض، لأنه عطف على الضمير المخفوض في فيهن."[١١٥]

ومما أُنكر على ابن كثير قراءته لقوله تعالى:(فتلقى آدمُ من ربه كلماتٍ فتاب عليه) بنصب آدم على المفعولية ورفع كلمات على الفاعلية.

ومما أنكر على ابن عامر الشامي قراءته لقوله تعالى:(وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم) برفع الزاي في زين ورفع اللام في قتل ونصب الدال في أولادهم وخفض شركائهم.[١١٦] وغير ذلك مما يطول بسطه ومناقشته، وقد عللوا بعض ذلك لمخالفة بعض ما قعّدوه في النحو، مستعينين بكون المُنتَقَدِ مما انفرد به القارئ.

فأما ردّ القراءة بالقواعد النحوية فغير جائز ولا معقول لأن هذه القواعد إنّما قعدها النحاة على ما بلغهم من لغات العرب ولهجاتهم والذي فاتهم منها كثير.

وأما الانفراد فليس بسبب يحمل على الطعن في القراءة وإلا لساغ الطعن في كل القراءات السبعة كلها، وإليك مثالا مثالا مما انفرد به كل قارئ:

---

(١١١) ذيل بها الذهبي ما ذكره من أسباب الطعن في قراءة حمزة فقال:" يريد –أي شعبة- ما فيها من المد المفرط والسكت وتغيير الهمز في الوقف والإمالة وغير ذلك."تهذيب التهذيب: ٢٤/٣.

(١١٢) انظر ابن مجاهد، السبعة في القراءات: ص٢٢٦.

(١١٣) ابن الأنباري أبو البركات عبد الرحمن، الإنصاف في مسائل الخلاف: دار الفكر/ دمشق:٤٦٣/٢.

(١١٤) انظر ابن خالويه الحسين بن أحمد أبو عبد الله، الحجة في القراءات السبع: دار الشروق/ بيروت، ط١٤٠١/٤، تحقيق د. عبد العال سالم مكرم: ص١١٨.

(١١٥) الإنصاف في مسائل الخلاف: ٤٦٣/٢.

(١١٦) انظر ابن مجاهد، السبعة في القراءات: ص٢٧٠.

فمما انفرد به نافع المدني رفع كلمة (يقول) في قوله تعالى (حتى يقــول الرســول) ٢١٤، وقرأ الباقون (حتى يقول) نصبا.[١١٧]

ومما انفرد به ابن كثير المكي قراءة قوله تعالى (ومنوة الثالثة الأخرى)٢٠ ومنوءة الثالثة مهموزة ممدودة وقرأ الباقون ومنوة الثالثة بغير همز.[١١٨]

ومما انفرد به أبو عمرو البصري قراءة (تؤثرون) في قوله تعالى(بــل تــؤثرون الحيــوة الدنيا)١٦ بالياء، وقرأها الباقون بالتاء.[١١٩]

ومما انفرد به ابن عامر الشامي قراءته لقوله تعالى **(قــالوا اتخــذ الله ولــدا)** بغيــر واو ...وقرأ الباقون بالواو.[١٢٠]

ومما انفرد به عاصم بن أبي النجود قراءته لكلمة (يظهرون) في قولــه تعــالى (الــذين يظهرون)٢ وقوله (والذين يظهرون)٣ في سورة المجادلة خفيفا بألف وياء مضمومة، وقرأها ابن كثير ونافع وأبو عمرو بغير ألف مشددة، وقرأها ابن عامر وحمزة والكسائى يظهــرون بفتح الياء وألف مشددة الظاء.[١٢١]

ومما انفرد به الكسائي قراءته لكلمة (تزول) من قوله تعالى: (وإن كان مكرهم لَتزولُ منه الجبال) ٤٦ بفتح اللام الأولى وضم الثانية، وقرأ البــاقون (لِتــزولَ) بكســر الأولــى وفــتح الثانية.[١٢٢]

---

(١١٧) انظر المصدر نفسه: ص ١٨١.

(١١٨) انظر المصدر نفسه: ص٦١٥.

(١١٩) انظر المصدر نفسه: ص٦٨٠.

(١٢٠) انظر المصدر نفسه: ص١٦٩.

(١٢١) انظر المصدر نفسه: ص٦٢٨.

(١٢٢) انظر المصدر نفسه: ص٣٦٣.

الخـاتمــة

بعد أن أتممت عرض ما قيل في قراءة حمزة بن حبيب الزيات ومـــا أوردوه علـــى هـــذه القراءة من نقد، أخلص إلى الملحوظات الآتية:

١- إن الركن الركين في قبول القراءة أو ردّها هو التواتر ثمّ موافقة الرسم ولو احتمـــالا، ثم موافقة وجه من وجوه العربية وكل هذه الشروط حاصلة في قراءة حمزة.

٢- إن ما ذكروه عن حمزة من الورع الشديد والإمامة في القراءة فيـــه تزكيـــة عظيمـــة لقراءته، إن من مدحه أعرف الناس به من شيوخه وتلاميذه ، وأما من ذمّ قراءته فجلهـــم لـــم يعاصره أو لم يسمع القراءة منه مباشرة.

٣- إن ما ذكر عن الإمام أحمد وغيره من الحمل على قراءته فمحمول على خطأ بعـــض من روى عنه، وخير دليل على ذلك خلوّ ما بين أيدينا من قراءته من روايتيه مما ذُكـــر فيهـــا من العيوب، وقلّة اطّلاع منهم على حال حمزة وحال قراءته.

٤- إن الإنكار على حمزة كان -في الأغلب- قبل أن تسبّع السبعة، ويُعلم تواترها، وينعقد الإجماع على تلقي هذه القراءة بالقبول، والإنكار على من تكلم فيها.

٥- وفي كل الأحوال لا أعتقد أن أحدا ممن تكلّم في هذه القراءة كان مطّلعا على تواترها، وإلا ما كانوا ليقولوا ما قالوا.

٦- إن مطاعن النحاة في بعض حروفه لا يقدح في قراءته لأنه من أئمة اللغة أولا، ثم إن قدح النحاة لم تسلم منه قراءة سبعية ولا عشرية، ويظهر أن ذلك راجع لاعتقادهم أن اختيـــار القارئ خاضع لمذهبة اللغوي لا للرواية الصحيحة.

٧- إن كل ما نسب إلى هذا الإمام الجليل من القدح في قراءته لم ينفرد به دون غيره من أئمة القراء، وعلى هذا كله فليس لحمزة بن حبيب الزيات في قراءته شيء يميّزه عـــن قـــراءة غيره من القراء السبعة يُقدح فيه، فكل ما تكلموا فيه موجود عند باقي القراء مـــن الســـبعة أو غيرهم، وأحبّذ في الأخير أن أثبت مقولة أوردها الذهبي عن حمزة بسنده أن شعيب بن حـــرب قال:" سمعت حمزة يقول ما قرأت حرفا إلا بأثر."[١٢٣]

---

[١٢٣] الذهبي، معرفة القراء الكبار: ١١٤/١.

ثبت المصادر والمراجع

١. **ابن أبي حاتم الرازي، الجرح والتعديل**: دار إحياء التراث العربي/ بيروت، ط١/ ١٩٥٢.

٢. **ابن الأنباري أبو البركات عبد الرحمن، الإنصاف في مسائل الخلاف**: دار الفكر/ دمشق.

٣. **ابن الجوزي عبد الرحمن بن علي، صفوة الصفوة** : دار المعرفة/ بيروت، ط٢/ ١٩٧٩.

٤. **ابن حبان أبو حاتم البستي، الثقات** : دار الفكر، ط١/١٩٧٥، تحقيق السيد شرف الدين أحمد.

٥. **ابن حبان أبو حاتم البستي، مشاهير علماء الأمصار** : دار المعرفة العلمية/بيروت، ط:١٩٩٥، تحقيق: م.فلايشهمر.

٦. **ابن حجر العسقلاني أحمد بن علي، تهذيب التهذيب** : دار الفكر/ بيروت، ط١/١٤٠٤.

٧. **ابن خالويه الحسين بن أحمد أبو عبد الله، الحجة في القراءات السبع**: دار الشروق/ بيروت، ط٤/١٤٠١، تحقيق د. عبد العال سالم مكرم.

٨. **ابن قدامة عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، المغني** : دار الفكر/ بيروت، ط١/ ١٤٠٥.

٩. **ابن مجاهد أبو بكر أحمد بن موسى، السبعة في القراءات** : دار المعارف/ القاهرة، ط٢/ ١٤٠٠، تحقيق د.شوقي ضيف.

١٠. **ابن منجويه أحمد بن علي الأصبهاني، رجال مسلم** : دار المعرفة/ بيروت، ط١/ ١٤٠٧، تحقيق عبد الله الليثي.

١١. **ابن منظور محمد بن منظور الإفريقي، لسان العرب**: دار صادر/ بيروت، ط١.

١٢. **الذهبي، سير أعلام النبلاء** : مؤسسة الرسالة/ بيروت، ط٩/١٤١٣، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي.

١٣. **الذهبي، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار**: مؤسسة الرسالة/ بيروت، ط١/١٤٠٤، تحقيق بشار عواد وشعيب الأرناؤوط وصالح مهدي عباس.

١٤. **الذهبي، ميزان الاعتدال**: دار الكتب العلمية/بيروت، ط١/١٩٩٥، تحقيق: علي محمد معوّض، وعادل أحمد عبد الموجود.

١٥. **الشاطبي القاسم بن فيرة بن خلف الرعيني الأندلسي(ت٥٩٠هـ)، حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع**: ضبط وتصحيح ومراجعة: محمد تميم الزعبي، مكتبة دار الهدى/ المدينة المنورة، ط٣/١٤١٨-١٩٩٦.

١٦. **العجلي؛ أحمد بن عبد الله بن صالح أبو الحسن الكوفي(١٨٢-٢٦١)، معرفة الثقات** : مكتبة الدار/المدينة المنورة، ط١/١٤٠٥-١٩٨٥، تحقيق: عبد العليم عبد العظيم البستوي.

١٧. **عبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب**: دار الكتب العلمية/ بيروت.

١٨. **عبد الفتاح القاضي، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة**: مكتبة أنس بن مالك/مكة المكرمة، ط١/١٤٢٣-٢٠٠٢.

١٩. **عبد الفتاح القاضي، تاريخ القراء العشرة ورواتهم وتواتر قراءاتهم ومنهج كل في القراءة**: المكتبة الأزهرية للتراث/مصر، ط١/١٤٢٣-٢٠٠٢.

٢٠. **علي محمد الضباع، الإضاءة في بيان أصول القراءة**: المكتبة الأزهرية للتراث/ مصر، ط١/١٤٢٠-١٩٩٩.

٢١. **محمد بن أبي يعلى أبو الحسين، طبقات الحنابلة** : دار المعرفة/ بيروت، تحقيق محمد حامد الفقي.

محمد خالد منصور وآخرون: المزهر في شرح الشاطبية والدرة: دار عمار/عمان، ط١/١٤٢٢-٢٠٠٢.